بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الليل

سورة مكية، تبدأ بقول الله عز وجل:

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣﴾

يقسم ربنا سبحانه وتعالىٰ في هٰذه الآيات بثلاثة أشياء قائلًا:

١ ـ ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾ الخلق كله بظلامه، وهو آية!!

٢ ـ ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ بضيائه ونوره علىٰ الخليقة كلها، وهو آية!!

٣ ـ ﴿وَمَا خَلَقَ﴾ سبحانه ﴿ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾ من كل شيء، وهو آية!!

ولكن علام يقسم ربنا عز وجل بهذه الأشياء؟ **الجواب:**

﴿إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ۝٤﴾

أي: ﴿إِنَّ سَعۡيَكُمۡ﴾ لاكتساب أعمالكم ﴿لَشَتَّىٰ﴾ مختلف فهذا في الخير، وهذا في عكسه.

ويزيد ربنا الأمر في هذا الاختلاف وضوحًا، فيقول الحق سبحانه:

﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ۝١١﴾

نعم، الناس مختلفون، وأعمالهم مختلفة، وهذه حكمة الله في خلقه، وليس الأمر في ذلك ـ وحاشا لله ـ عبثًا.

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ﴾ حقوق ماله لأصحابها ﴿وَٱتَّقَىٰ﴾ الله ﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ وهي ملة الإسلام، وعمادها (لا إله إلا الله)!!

يقول ربنا تبارك وتعالىٰ عنه: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ وهي الطاعة، وعمل الخير، ودخول الجنة.

﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ﴾ بماله، فلم يعط الحقوق لأصحابها ﴿وَٱسْتَغْنَىٰ﴾ عن ربه، وطغى وتكبَّر ﴿وَكَذَّبَ﴾ أيضًا ﴿بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ وهي ملة الإسلام، وعمادها (لا إله إلا الله)!!

يقول عنه ربنا عز وجل: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ وهي المعصية، وعمل الشر، ودخول جهنم ﴿وَمَا يُغْنِى عَنْهُ﴾ في هذه الحالة ﴿مَالُهُۥٓ﴾ ولا ينفعه كذلك ﴿إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾ سقط في القبر، أو في جهنم.

وبعد أن عرَّف الله الخلق: أن سعيهم شتىٰ!! وبعد أن بيَّن ما للمحسنين من اليسرىٰ، وما للمسيئين من العسرىٰ!! يخبر عز وجل أن عليه بمقتضى حكمته بيان الهدى من الضلال، وأن الإنسان هو الذي يختار هذا أو ذاك، حيث يقول الحق جل وعلا:

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾﴾

﴿إِنَّ عَلَيْنَا﴾ إنعامًا منا ﴿لَلْهُدَىٰ﴾ وبيان طريقه للناس!!

﴿وَإِنَّ لَنَا﴾ قدرة وملكًا وتصرفًا ﴿لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ﴾ فلا قدرة لغيرنا، ولا ملك لغيرنا، ولا تصرف لغيرنا.

وعلىٰ هذا ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ﴾ وخوَّفتكم ﴿نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ تتلهب وتزداد اشتعالًا، حتىٰ لا تقعوا فيها.

هذه النار: ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ﴾ ويدخلها دخولًا أبديًا ﴿إِلَّا ٱلْأَشْقَى ۞ ٱلَّذِى كَذَّبَ﴾ الرسل ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ إعراضًا عن طاعة الله، والدخول في رحاب دينه.

يا منجي من هذا العذاب يا رب!! ولكن أين المؤمنون، الصالحون؟

يقول الحق سبحانه:

﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾

الحمد لله، ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا﴾ ويُبعد عنها ﴿ٱلْأَتْقَى﴾ وهو: المؤمن الصالح، العامل.

﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ﴾ لأصحاب الحقوق عليه، ومنهم الفقراء، وهو بذلك ﴿يَتَزَكَّىٰ﴾ ويتطهر.

﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ﴾ وهو يؤتي هذا المال ﴿مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾ فيكافئه بذلك.

وإنما يدفعه ﴿ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾، وطلبًا لمرضاته.

حقًّا، ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ مَن كان فعله هذا برضوان الله عليه.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الضحى

وهي سورة مكية، تبدأ بقول العظيم سبحانه:

﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾

يقسم ربنا تبارك وتعالىٰ في هاتين الآيتين بشيئين قائلًا:

١ ـ ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ وهو: صدر النهار، حيث ترتفع الشمس.

٢ ـ ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ أظلم، وهدأت فيه الكائنات.

وهما: آيتان من دلائل قدرة الله تعالىٰ.

ولكن!! علام يقسم ربنا؟ هنا الجواب:

﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۝٥﴾

فقد أنعم الله علىٰ نبينا ﷺ بهذه الأشياء الثلاثة:

الأولىٰ: ﴿مَا وَدَّعَكَ﴾ وتركك ربك، كما يقول الأعداء الحاقدون ﴿وَمَا قَلَىٰ﴾ أي: وما أبغضك وكرهك، بل هو معك، وأنت في رعايته، وفي روضات حبه.

الثانية: ﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ﴾ وما فيها من إنعامات ﴿خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ﴾ هذه التي تحياها.

الثالثة: ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ﴾ من إنعاماته ورضوانه ما يعطيك ﴿فَتَرۡضَىٰٓ﴾ بعطاء الله وإنعامه.

يا محمد!!

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾﴾

نعم، ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ﴾ ربك فيما تقدم من أمرك ﴿يَتِيمًا﴾ بفقد أبيك، ﴿فَـَٔاوَىٰ﴾ بأن ضمك إلىٰ عمك، وجعلك في كفالته؟

﴿وَوَجَدَكَ﴾ أيضًا ﴿ضَآلًّا﴾ عما أنت عليه الآن، ﴿فَهَدَىٰ﴾ أي: هداك إلىٰ دين الله وشرعه!!؟

﴿وَوَجَدَكَ﴾ كذلك ﴿عَآئِلًا﴾ أي: فقيرًا، ﴿فَأَغْنَىٰ﴾ أي: أغناك بما أنت فيه من غنىٰ النفس ورضوان الله!!؟ الجواب: بلىٰ، وألف بلىٰ. **لذلك:**

﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾

هذا هو التشريف الإلٰهي لنبيه ﷺ بمكارم الأخلاق، وهو ـ في الوقت ذاته ـ تربية لأمته علىٰ التحلي بها.

﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ وكن له عطوفًا، وبه رحيمًا.

﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ﴾ عن شيء ﴿فَلَا تَنْهَرْ﴾ بل أعطه وأفده، ما دام صادقًا في سؤاله.

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ عليك وهي كثيرة ﴿فَحَدِّثْ﴾ بها واشكر عليها.

أعاننا الله نحن أمة محمد ﷺ، علىٰ التحلي بهذه الأخلاق دائمًا.

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الشرح

سورة مكية، وهي تبدأ بقول الله عز وجل:

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾﴾

إن هذه السورة الكريمة: تستمر في تذكير النبي ﷺ بنعم الله تعالىٰ عليه.

فبعد أن قال له ربه سبحانه في السورة السابقة: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [الضحى: ٦-٨] يقول عز وجل له هنا مقررًا ومؤكدًا:

يا محمد ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ بالنور والنبوة ﴿صَدْرَكَ﴾؟

﴿وَوَضَعْنَا﴾ كذلك ﴿عَنكَ وِزْرَكَ﴾؟

حيث طهرناك، وغفرنا لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، بعد أن كان هو ﴿الَّذِي أَنقَضَ﴾ وأتعب ﴿ظَهْرَكَ﴾..؟

﴿وَرَفَعْنَا﴾ ثالثًا ﴿لَكَ ذِكْرَكَ﴾؟ حيث قرنَّا اسمك باسم ربك في الشهادة والأذان والإقامة والتشهد، وغير ذلك...

بل أمرنا بالصلاة والسلام عليك: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] ؟.

ولذلك فالجواب: بلىٰ، وألف بلىٰ، صلّىٰ الله عليك يا سيدي يا رسول الله.

وما دام الأمر كذلك: فلا تيأس من فضل الله، ولا تألَم من مواقف المعاندين وأفعالهم:

﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾

نعم، ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ﴾ الذي تلاقيه في أمر الدعوة وتبليغها، والعمل الشاق علىٰ هداية الناس بتعاليمها: ﴿يُسْرًا﴾ من الله تعالىٰ لك في ذلك كله.

حيث ﴿إِنَّ﴾ من سنتنا أنه ﴿مَعَ﴾ هذا ﴿ٱلْعُسْرِ﴾ الذي يلاقيه دعاة الحق: ﴿يُسْرًا﴾ لهم من ربهم سبحانه.

ويقول المصطفىٰ ﷺ مبشرًا: «**لن يغلب عسر يسرين**».

لذلك: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾

أي: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ من دعوة الخلق إلىٰ الحق، في أي وقت، سواء استجابوا أو لم يستجيبوا: ﴿فَٱنصَبْ﴾ إلىٰ ربك بالعبادة، والذكر، والدعاء.

﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ﴾ دائمًا ﴿فَٱرْغَب﴾ وتوجَّه إليه بالسؤال، وطلب المعونة والتوفيق، في أمور الدنيا والآخرة.

* * *